« مسجد الحاج إبراهيم تريانة بالإسكندرية »
(١٠٩٧ هـ / ١٦٨٥ م)
دراسة أثرية وثائقية

دكتور
عوض عوض محمد الإمام (*)

شيد الحاج إبراهيم بن عبيد المغربى (١) مسجداً بمدينة الإسكندرية ١٠٩٧ هـ / ١٦٨٥ م ، لم يزل غرة على جبينها تتفاخر به على مدى الأيام ، ودراستنا لهذا الأثر المعمارى العثمانى تلقى الضوء على طبيعة عمائر تلك الفترة وتوضح أيضا بعضاً من أوضاعها الإقتصادية والإجتماعية ، كما أنها تكشف لنا بجلاءٍ دور التجار الوافدين إلى مصر من المغرب العربى ، وكيف أنهم أستقروا بها ، وتولوا الوظائف ومارسوا التجارة ، ولعبوا دوراً هاماً فى الحياة الإقتصادية والإجتماعية فى مجتمعهم الجديد .

ولعل مما يؤكد ذلك أن مؤسس هذا الأثر المعمارى – محل دراستنا – كتب عن نفسه فى كتاب وقفه أنه : « فخر الأعيان الأغرة السادة التجار أولى التكريم ، عين أعيان الأكابر

(*) مدرس الآثار الإسلامية بكلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط .

(١) لم ترد له ترجمة فى كتب التراث ، وكل المعلومات التى نكتبها عنه مأخوذة من كتاب وقفه رقم ٢٧٥١ قديم / أوقاف المحفوظ بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة وتاريخه ١٨ من رجب ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م . وقد لعب المغاربة دوراً هاماً فى الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية المصرية فى العصر العثمانى ، وعن هذا الدور وأهميته أنظر : د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، فصول من تاريخ مصر الإقتصادى والإجتماعى فى العصر العثمانى ، سلسلة تاريخ المصريين ، عدد ٣٨ ، ١٩٩٠ م ، ص ٣٥١ وما بعدها .

الكرام ، أولى التعظيم الخواجا [١] المكرم المعتبر المفخم بعناية / ربه الرحيم الخواجا إبراهيم بن المرحوم الخواجا عبيد المغربى المسراتى [٢] ، الشهير نسبه الكريم بتربانة ، عين أعيان الخواجات بمصر المحروسة ، ومن طايفة مستحفظان [٣] القاطن يومئذ بالثغر السكندرى .. » [٤] .

---

(١) **الخواجا** : لقب فارسى بمعنى المعلم أو الكاتب أو التاجر أو الشيخ أو السيد . أستعمل فى العالم الإسلامى كلقب عام ، وكان يأتى فى أول الألقاب ؛ ومن أمثلة أستعماله فى النقوش أنه أطلق على مقدم المشايخ يوسف بن كثير العلى فى نص جنائزى بتاريخ شهر شوال ٥٥٧ هـ من تحجوان ، وعلى التاجر رشيد الدين عزيز بن أبى الحسين الزنجانى فى نقش بتاريخ شهر المحرم ٥٥٩ هـ . وكان هذا اللقب يطلق أحيانا على من يمت بصلة إلى الأصل الفارسى ، وفضلا عن ذلك فقد استعمل اللقب فى عصر المماليك ضمن ألقاب التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم . وللمزيد أنظر : د . حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة ، ١٩٧٨ م ، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ ، وفى العصر العثمانى كان يطلق على معظم التجار المغاربة . أنظر : حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٤٦ م ، ص ٢٠٧ ، حاشية ١ ؛ . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص ٣٦٧

(٢) مسراته : إقليم على شاطىء البحر المتوسط ، يشتمل على قصور وقرى ، بعضها فى السهل وبعضها فى الجبل ، وأهل مسراته أغنياء لأنهم لايؤدون أية أتاوة ، ويتعاطون التجارة ، حيث كانوا يحملون الرقيق والمسك إلى تركيا محققين أرباحاً طائلة من رحلتى الذهاب والإياب ، وقد وضع الرحالة ليون الإفريقى هذا الإقليم ضمن مملكة تونس ، حيث إنه قسم ما نسميه اليوم بشمال أفريقيا أو المغرب الكبير إلى أربع ممالك وكان ذلك فى مطلع القرن ١٠ هـ / ١٦ م هى : ١ – مملكة مراكش ٢ – مملكة فارس ٣ – مملكة تلمسان ٤ – مملكة تونس والأخيرة كانت تضم أربعة أقاليم : بجاية وقسنطينة وطرابلس الغرب والزاب . وللمزيد من المعلومات أنظر : الحسن بن محمد الوزانى الفاسى ، وصف أفريقيا ، ترجمة د . محمد حجى ، د . محمد الأخضر ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، ط ثانية ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٣ م ، جـ ١ ، ص ١٦ ، جـ ٢ ، ص ١١١ ، وأنظر أيضاً ، د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربى ١٩٨٧م خريطة ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧

(٣) طايفة مستحفظان : أشتقت من الكلمة العربية « مستحفظ » ، ثم جمعت جمعاً فارسياً بالألف والنون ، وكان أفراد هذا الطائفة من المشاة ، وهم المكلفون بحراسة قلاع وحصون البلاد . وقد أشار المؤرخون إليهم أحياناً باسم « ينجيرية أو ينكجيرية » . وقد حضرت هذه الطائفة إلى مصر مع السلطان سليم الأول ، واستقرت بالقلعة ، وعرفت بطائفة السلطان ، وعهد إليها بمهمة الشرطة ، وقد سيطر أفرادها على دار الضرب وعنابر المؤن ومراكز المكوس ، ومن هنا أشتد نفوذها . أنظر : د. أحمد السعيد سليمان ، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، القاهرة ، ١٩٧٩ م ، ص ٧٧ ؛ د . أحمد فؤاد متولى ، قانون نامة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ١٨ ، حاشية ١

(٤) الوثيقة ٢٧٥١ قديم / أوقاف ، سطر ١٤ – ١٥

والحق أن دراسة هذا الأثر المعمارى تهدف لإلقاء الضوء على النقاط التالية : **أولاً** : تقديم ترجمة للحاج إبراهيم تربانة : **ثانية** : وصف المسجد وصفاً اثريا تسجيليا طبقا لحالته الراهنة ، ومقارنة ذلك بحالته وقت تشييده ، وذلك من خلال الوصف الوثائقى له الوارد فى وثيقة وقف المنشىء رقم ٢٧٥١ قديم / أوقاف .

ثالثا : الدراسة التحليلية وأهم النتائج التى يمكن استخلاصها .

أولا : ترجمة المنشيء :

لم تقدم كتب التراث الخاصة بالعصر العثمانى التى بين أيدينا أية معلومات عن الحاج إبراهيم بن عبيد المغربى الشهير نسبه بتربانة ؛ لذلك فليس أمامنا من سبيل إلا أن نرصد كل المعلومات التى تضمنها كتاب وقفه [١] والتى من خلالها نعرف أنه كان أحد التجار المغاربة ، وأنه جاء إلى مصر من بلدته مسراته ، حيث أستقر بمدينة الإسكندرية ، وشغل وظيفة حراسة سواحلها ، ومارس التجارة فكثر ماله ، وراج حاله . وعلمنا أيضا أن له أخا يسمى بالحاج مسلم وهو الذى رزق بولدين هما : الحاج على مسلم المغربى ، ومحمد مسلم المغربى . وقد أشترط إبراهيم تربانه فى كتاب وقفه لاستحقاق هذين الولدين فى وقفه إذا ما مات وإنقرضت ذريته ونسله ووفاة أبيهم . [٢] وكانت للحاج إبراهيم تربانه أختا تسمى « عائشة » وأشترط لها فى كتاب وقفه أنها تستحق هى وذريتها من زوجها الحاج عبد الله [٣] ، إذا ما أنقرضت جميع ذرية ونسل الواقف وذرية ونسل أبنائه وأبناء أخيه وأبناء وذرية ونسل أولاد عمه ، [٤] حيث علمنا من كتاب الوقف المذكور أن للحاج إبراهيم تربانه عما يسمى « الحاج عبد القادر الزليطى » . وأشارت الوثيقة أن له أبناء ، إلا أنها لم تحدد عددهم أو نوعهم ، [٥] وأكتفت بالإشارة إلى أستحقاقهم فى هذا الوقف بعد وفاة الواقف وأنقراض ذريته ونسله ووفاة أخيه وولديه على ومحمد وأنقراض ذريتهما ونسلهما . وأخيرا علمنا من الوثيقة أن الحاج إبراهيم تربانه قد تزوج ورزق خمسة من الأبناء حتى

---

(١) الوثيقة السابقة وهى محفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ، وتاريخها ١٨ رجب ١١٠٥ هـ .

(٢) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ١٣٠ ، ١٦٠ ، ٣٥٠ – ٣٥٢

(٣) لم تحدد الوثيقة بقية اسم هذا الزوج .

(٤) الوثيقة ٢٧٥١ قديم / أوقاف ، سطر ٣٥٣

(٥) الوثيقة ٢٧٥١ قديم / أوقاف ، سطر ٣٥٣

وقت تحرير كتاب وقفه بتاريخ ١٨ رجب ١١٠٥ هـ / ١٦٩٣ م [١] وهم : ١ - محمد جلبى ٢ - عمر جلبى ٣ - على جلبى ٤ - عمر جلبى الصغير ٥ - سليمه [٢] .

ولعل مما يدل على عظيم ثراء الحاج إبراهيم تربانه وجليل مكانته إنشائه للعديد من العمائر بمدينتى القاهرة والإسكندرية [٣] .

ثانيا : وصف المسجد

الوصف من الخارج :

يقع مسجد الحاج إبراهيم تربانة بمنطقة المنشية بالإسكندرية ، وهو من المساجد المعلقة ، لذا فهو يتكون من مستويين ، السفلى منهما عبارة عن مجموعة من الحوانيت فتحت أبوابها بإحدى واجهاته [٤] ، وأما المستوى العلوى فهو المساحة المخصصة للصلاة . وجدير بالذكر أن هذا المسجد يشغل مساحة مستطيلة طولها ٢٧,٢٥ ، وعرضها ١٣,٧٠ م، أما أرتفاعه فيبلغ ١٠,٨٠ م ، ويطل هذا المسجد بواجهاته على أربعة شوارع ؛ فتطل واجهته الجنوبية الغربية - الرئيسية - على شارع فرنسا - وتطل واجهته الجنوبية الشرقية على شارع سوق الطباخين . أما واجهته الشمالية الشرقية فتطل على شارع مولاى محمد ، فى حين أن واجهته الغربية تطل على شارع مسجد تربانة . ونعرض لوصف تلك الواجهات .

الواجهة الجنوبية الغربية :

يبلغ طولها ٢٧,٢٥ م ، وأرتفاعها ١٠,٨٠ م ، وهى تتكون من مستويين : بالطرف الشمالى من مستواها السفلى باب يتوصل منه إلى سلم يصعد منه إلى المسجد الواقع بالمستوى العلوى (سنعود لوصفه) ، ويلى هذا الباب أربعة أبواب أخرى كل منهم خاص بحانوت ، يلى ذلك باب يتوصل منه إلى سبيل يطل على شارع فرنسا بشباك تغشيه مصبعات نحاسية . ومما نلاحظه أن هذا الجزء من الواجهة - والذى يشتمل على واجهة

---

(١) الوثيقة ٢٧٥١ قديم / أوقاف ، سطر ٤٠٠ - ٤٠١

(٢) الوثيقة ٢٧٥١ قديم / أوقاف ، سطر ٣٤٣ - ٣٤٤

(٣) أنظر بيان تلك العمائر التى وقفها الحاج إبراهيم تربانة ص ٢٢ - ٢٣ من هذا البحث .

(٤) أنظر وصفها ص ٢٨٠ - ٢٨٣ من هذا البحث، ووصفها الوثائقى ص ٢٩١ - ٢٩٣ من هذا البحث .

السبيل – قد تم بناؤه بالطوب المنجور [١] . كما نلاحظ أن نافذة السبيل يعلوها عقد مصمت ذو ثلاثة فصوص ، ملىء فصاه الجانبيان بثلاثة صفوف من المقرنصات ، فى حين زخرف فصه الأوسط بالطوب المنجور . هذا ويوجد إلى جوار شباك السبيل بابان يوصل كل منهما إلى حانوت . أما المستوى العلوى من هذه الواجهة فقد فتحت به ست نوافذ كبيرة مستطيلة سعة كل منها ١,٣٠ م × ٢ م ، وعلى الحافة الخارجية لكل نافذة تم تركيب ستارة من خشب الخرط ، وإلى الداخل منها ركب مصراعاها . وتوجد على المحاور الرأسية لهذه النوافذ ست قمريات قنديلية ثنائية ركب على كل منها ستارة من خشب الخرط . [٢] ويذكر أنه قد تم تحديد كل نافذة كبيرة والقمرية التى على محورها الرأسى بإطار عبارة عن جفت لاعب ذى ميمات [٣] ، يشكل حنية متوجة بعقد ثلاثى مصمت ، نلحظ بعده أن الواجهة متوجة بشرفات على هيئة ورقة نباتية خماسية (اللوحة ١) .

---

(١) الطوب المنجور : نوع من الطوب يعد أعداداً خاصاً فى الأفران ؛ حيث يحرق بعضه لدرجة السواد ، وبعضه يحرق حرقا هينا حتى يصير لونه أحمرا . وقد يطلى هذا الطوب بلون أسود أو أحمر ، واستخدم فى زخرفة الواجهات وذلك عن طريق التبادل فيما بين هذين اللونين مع استخدام كحلة بارزة ذات لون أبيض كمونة بين المداميك ؛ ومن ثم أطلق عليه « الطوب المنجور المكحول » . وقد شاع استخدام هذه الطريقة البنائية الزخرفية فى عمائر مصر العثمانية خارج القاهرة ، خاصة بمدن الإسكندرية ورشيد وفوة والمحلة الكبرى . أنظر : د . سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، الأهرام ، ١٩٨٣ م ، جـ ٥ ، ص ٢٤٧ – ٢٤٩ ؛ آثار رشيد ، مطبوعات هيئة الآثار ١٩٨٥ م . ص ٤ ؛ د . محمد عبد الستار عثمان الإعلان بأحكام البنيان ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٠٤

(٢) عرفت النوافذ المزدوجة « التوأم » بالغرب الإسلامى ، وانتقلت إلى مصر فى العصر المملوكى ؛ فظهرت فى ضريح فاطمة خاتون (٦٨٢ – ٦٨٣ هـ) (١٢٨٣ – ١٢٨٤ م) ، وفى منشآت السلطان قلاوون (٦٨٣ – ٦٨٤ هـ) (١٢٨٤ – ١٢٨٥ م) وفى ضريح الأشرف خليل بن قلاوون ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م . أنظر د . أمال العمرى ، مدرسة قلطوبغا الذهبى ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م بشارع سوق السلاح ، دراسات أثارية إسلامية ، مجلد ٣ ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ٢٤ ، وكما نرى فقد أستمر استخدام هذا النوع من النوافذ فى العصر العثمانى .

(٣) ظهر الجفت اللاعب ذو الميمات بمصر فى عهد السلطان برسباى ، وشاع أستعماله بعد ذلك ، وأستمر فى العصر العثمانى . أنظر د . محمد مصطفى نجيب ، دراسة جديدة على سبيل السلطان إينال المندثر والسبيل الحالى للسلطان قايتباى بالحرم الشريف بالقدس ، مطبعة حسان بالقاهرة ١٩٨٢ م ، ص ١٠-١١

الباب الجنوبى الغربى :

يقع هذا الباب بالطرف الشمالى من الواجهة الجنوبية الغربية ، وتبرز واجهته عن بقية سمت الواجهة بمقدار ١,٤٠ م . ويبلغ عرض واجهة المدخل ٣,٢٧ م ، ويتوسط هذه الواجهة حنية المدخل البالغ سعتها ٢ م ، بصدرها فتحة باب يبلغ أتساعها ١,٤٥ م وأرتفاعها ٢,٨٧ م مركب عليها باب خشبى يتكون من مصراعين على جانبيه مكسلتين مقاس كل منها ٠,٤٣ × ٠,٤٦ × ٠,٨٩ م ومدمج بركن كل مكسلة عمود خشبى صغير على هيئة البرمق ، كما أن جلسة كل منهما عبارة عن لوح رخامى . ومما نلاحظه وجود ميدة خشبية مستعرضة بالجدار فوق كل مكسلة ، ثم يرتفع فوقها جدار المدخل بمقدار سبعة مداميك مبنية بالطوب المنجور ، يلى ذلك ميدتان خشبيتان مستعرضتان يفصل بينهما مدماك من الطوب المنجور ، تفصل بين طوبه على مسافات متعددة ميدة خشبية طولية (صارية) . ويستمر جدار حنية المدخل فى أرتفاعه فوق ذلك بمقدار سبعة مداميك أخرى لنلحظ ميدتان خشبيتان ، زخرف الجدار فوقهما بزخرفة على هيئة نجمة ثمانية الرؤوس ، يلى ذلك أزار خشبى حفرت به زخرفة هندسية ، وهو يدور بدوران جدران فتحة الباب . وجدير بالذكر أن بأسفل هذا الباب عتب حجرى ، وبأعلاه عتب خشبى مزخرف بزخارف هندسية محفورة ، بعضها يؤلف تكوينات نجمية بسيطة ، وبعضها الأخرى على هيئة زخرفة المفروكة ، ويعلو هذا العتب نافذة صغيرة ركبت عليها ستارة من خشب الخرط بها نص قرآنى « ادخلوها بسلام آمنين » وعلى جانبى تلك النافذة توجد مساحتان مستطيلتان ، بالمساحة اليمنى منهما كتابة بالخط الكوفى المربع نصها : « لا إله إلا الله » ، وبالمساحة اليسرى كتابة بنفس الخط نصها : « محمد رسول الله » . أما حنية الباب فيتوجها عقد ثلاثى الفصوص ، شغل فصاه الجانبيان بثلاثة عقود صغيرة مدببة ، يوجد خلف كل عقد منها شكل « دائرى » ، زخرف الأوسط بزخارف محفورة تمثل طبقا نجميا ، أما الجانبيان فيتوسط كل منهما نجمة سداسية وأجزاء منها قرب الإطار ، وحول كل نجمة توجد زخرفة متصلة على شكل حرف y فى أوضاع معتدلة ومقلوبة . هذا وقد زخرفت كوشات تلك العقود بنجمة سداسية صغيرة مفرغة . (أنظر اللوحة ٢) .

الواجهة الجنوبية الشرقية :

تطل هذه الواجهة على شارع سوق الطباخين ، ويبلغ طولها ١٢,٧٥ م ، وبمستواها السفلى أربعة حوانيت ، أما مستواها العلوى فقد فتحت به أربع نوافذ صغيرة تقع فى مستوى النوافذ القنديلية التى وصفناها بالواجهة الجنوبية الغربية .

الواجهة الشمالية الشرقية :

تطل على شارع مولاى محمد ، ويبلغ طولها ٢٧,٢٥ م ، وبمستواها السفلى الأن تسعة حوانيت حديثة ، حيث إنها مقحمة على جدار تلك الواجهة [١] . أما المستوى العلوى فيطل على الشارع المذكور ببائكة مكونة من تسعة عقود مدببة منتفخة (أنظر اللوحة ٣ ، ش ١) .

الواجهة الشمالية الغربية :

تطل على شارع مسجد تربانة ، ويبلغ طولها ١٢,٧٥ م ، وبمستواها السفلى أربعة أبواب ، ثلاثة منها الحوانيت ، والرابع يتوصل إلى دورة المياه الحديثة - سنصفها حالا - ومما نلاحظه أن بجدار هذه الواجهة من أسفل عامودين حاملين لمئذنة المسجد التى بهذا الجانب من المسجد . (أنظر اللوحة ٢) .

دورة المياه :

تقع بالمستوى السفلى من الواجهة الشمالية الشرقية للمسجد ، ويتوصل إليها من باب موجود بالواجهة الشمالية الغربية ، والبناء الحالى حديث ، بنى فى موضع البناء الأصلى ، بدليل أن الوثيقة نصت على أن « خريطة الجامع المطلة على البحر الأجاج الأعظم - ناحية الشمال الشرقى - المعدة للصلوات ، المركبة على مجاز علو المراحيض » . [٢] ولئن كان النص الوثائقى مفيدا فى تحديد موقع دورة مياه المسجد ، إلا أنه لم يقدم لنا وصفا معماريا لها ، فمثلا لم يحدد عدد المراحيض . كما لم يفسر لنا موضع فسقية الوضوء ، وهل كانت هناك صنابير جانبية أم لا ؟

أضف إلى ذلك أن النص الوثائقى لم يبين كيف كان يتم تزويد تلك المراحيض أو فسقية الوضوء بالمياه ؟ على الرغم من نص الوثيقة فى موضع أخر على أن هناك ساقية عين لها سواق يصرف له فى كل يوم أربعة أنصاف فضة [٣] ، نظير هذا العمل ، بالإضافة

---

(١) يؤكد ذلك النص الوثائقى الذى يتضمن وصفا لهذه الواجهة أنظر ص٢٩١ - ٢٩٣ من هذا البحث .

(٢) الوثيقة رقم ٢٧٥١ قديم / أوقاف ، سطر ٢٢٠

(٣) النصف فضة : أصغر عملة تركية ، وهى تساوى $\frac{١}{٤}$ قرش . وقد ضربت أولا من الفضة بقيمة قدرها أربع أقجات « أخشا » ، إلا أنه سرعان ما أختلف مركز الأخشا حتى صار النصف فضة يساوى $\frac{١}{٤٠}$ من القرش ، كما قل ما فيه من الفضة . وجدير بالذكر أن نصف الفضة كان يطلق عليه أيضا أسم « بارة » يؤكد ذلك ورود أسمهافى سجلات المحاكم الشرعية بالإسمين معا « نصف فضة بارة » . وعلى كل فإن أقدم أشارة إليها ذكرها لنا أحمد شلبى بن عبد الغنى فى حديثة عن أحداث عام ١٥٣٥ - ١٥٣٦ م . ولمزيد من المعلومات أنظر : أوضح الأشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، الخانجى ، ١٩٨٧م ، ص ١٠٨ ، حاشية ١٠٨ ؛ د. عبد الرحمن فهمى ، النقود المتداولة أيام الجبرتى ، ندوة الجبرتى ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٦ م ، ص ٥٧٣ ؛ د . عبد العزيز محمد الشناوى ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، القاهرة ١٩٨٤ م ، جـ ٣ ص ١٤٦٨ - ١٤٦٩ ؛ سليم عرفات المبيض ، النقود العربية الفلسطينية وسكنها المدينة الأجنبية ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٩م ، ص ٢٢٧ ، حاشية ١ .

إلى ملئه للأحواض والمراحيض وتنظيفها وشرائه للحبال والقواديس اللازمة للساقية [١] . كما رصد الحاج إبراهيم تربانة مبلغا من ريع وقفه مقداره فى كل يوم ستة أنصاف فضة لشراء طعام لدابة تلك الساقية المكون من التبن والفول [٢] . وجدير بالذكر أن بدورة المياه سلم يصعد منه إلى المسجد الواقع بالمستوى العلوى . (أنظر ش ١) .

المئذنة :

ذكرنا أننا لاحظنا وجود عامودين من الجرانيت الأحمر بالمستوى السفلى من الواجهة الشمالية الغربية للمسجد ، وفى مقابلتهما جدار ترتفع بارتفاع المستوى الأولى من المسجد أى ٣,٣٥ م . ويمثل هذان العمودان والجدار عناصر حاملة للمئذنة ، تعلوهما فى المستوى العلوى للمسجد عناصر حاملة أخرى عبارة عن أربعة أعمدة تقع بأركان البسطة التى نصل إليها من الباب الجنوبى للمسجد السابق وصفه . وترتفع هذه الأعمدة بارتفاع المستوى العلوى من المسجد أى ٧,٤٥ م ، وتربط فيما بينها أربعة عقود ذات شكل نصف مستدير ، ترتكز فوقها قبة صغيرة تداخل وجهها الخارجى فى نسيج بناء المئذنة ، كما أنه زين بأربع حنايا متوجة بعقود مدببة مصمتة ، شطفت حوافها العليا على هيئة مثلث قائم على زاوية رأسه ، وفيما بين كل مثلثين توجد حلية جصية بارزة على هيئة الكندة . والحق أن هذه المثلثات الأربعة كانت حلية معمارية لمنطقة الأنتقال فيما بين العناصر الحاملة للمئذنة وبين بدن المئذنة ذاته الذى يتكون من طابق واحد مثمن الشكل بأركان كل ضلع من أضلاعة ثلاثة أعمدة مدمجة تحصر فيما بينها ثمانى حنايا بأعلى كل منها نافذة صغيرة مستطيلة متوجة بعقد مدبب يشبه عقد الحنايا . وفوق تلك العقود توجد أربعة صفوف من المقرنصات، يتخذ الصف الأول والثانى منها هيئة الشرفات المدرجة أو المسننة ، وتحمل هذه المقرنصات شرفة مثمنة يحيط بها سياج من خشب الخرط يفصل بين أضلاعه الثمانية ثمانية أعمدة صغيرة . وبوسط تلك الشرفة عمود ذو بدن مستدير محلى بقنوات رأسية ، ينتهى أعلاه بشكل معمارى يشبه شكل القلة التى تعلو المنابر (أنظر اللوحة ٢) ، وبأعلى تلك القله تثبت هلال من النحاس .

وصف المسجد من الداخل :

ذكرنا أن المسجد يقع بالمستوى العلوى ، وأننا نصل إليه من الباب الجنوبى الغربى – السابق وصفه – عبر سلم مكون من ١٤ درجة يؤدى إلى بسطة مقاسها ٢,٢٥ × ٢,١٠ م

---

(١) الوثيقة ٢٧٥١ / أوقاف ،سطر ٣٦٨ ، أنظر جدول الوظائف ومرتباتها ص ٢٩٨ من هذا البحث .

(٢) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٣٧٨ – ٣٧٩ ، أنظر جدول المصرفات ص ٢٩٨ من هذا البحث .

بأركانها أربعة أعمدة ، ثلاثة منها جرانيتية ، والرابع من الرخام . وقلنا إن هذه الأعمدة ما هى إلا عناصر حاملة للمئذنة المكونة من طابق واحد تعلوه شرفة تليها قمة المئذنة . ويمكننا من بين العمودين اللذين بركنى البسطة من الناحية الشمالية الغربية أن نصل إلى الخارجة التى تتقدم المسجد من الناحية الشمالية الغربية [١] ، إذا ما إتجهنا ناحية اليسار ، أما إذا إتجهنا يمينا فإننا نصل إلى الإيوان الذى يتقدم المسجد من الناحية الشمالية الغربية [٢] . (أنظر ش ١) .

وقبل دخولنا إلى المسجد نتعرض لوصف كل من الأجزاء المعمارية التالية : (أ) الخارجة الشمالية الغربية (ب) الإيوان الذى يتقدم المسجد من الناحية الشمالية الغربية (جـ) الخارجة التى تتقدم المسجد من الناحية الشمالية الشرقية ، (د) باب الدخول الرئيسى للمسجد .

(أ) الخارجة الشمالية الغربية :

كان يتوصل إليها من الباب الجنوبى الغربى – السابق وصفه – عبر سلم نصل منه إلى بسطة نتجه من عليها إلى الجهة الشمالية الغربية ، حيث تلك الخارجة التى كانت مجرد مساحة مكشوفة تستخدم فى الصلاة إذا ما ضاق المسجد بالمصلين . وكان بمستواها السفلى قهوة كبرى . وقد أندرست جميع هذه الأجزاء ، ولذابات وصفها الوثائقى على جانب كبير من الأهمية ، فعن طريقه عرفنا شكلها المعمارى حين نص على أنه كان

---

(١) ظهرت فكرة زيادة مساحة المسجد عن طريق بناء زيادات فى مسجد سامراء ٢٣٧ هـ / ٨٥٠ م ، ثم ظهرت بمصر فى مسجد أحمد بن طولون ٢٦٥ هـ / ٨٧٩ م ، وها نحن نراها تظهر بشكل معمارى آخر فى المسجد محل دراستنا ، ونراها فى نموذج آخر مجاور له هو مسجد الحاج عبد الباقى جوربجى ١١٧٢ هـ ١٧٥٩ م . ويذكر أن الوثائق أطلقت على هذه الزيادات مسمى « خارجة » أو « أيوان » ، للمزيد عن ذلك أنظر : د . فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٢٤٤ ، ٤٧٣ ؛ الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٢١٧ ؛ الوثيقة ٢٣٨٣ ق / أوقاف ، سطر ٤٤ – ٤٥ ؛ حسن عبد الوهاب ، طرز العمارة الإسلامية فى ريف مصر ، مجلة المجمع العلمى المصرى ، مج ٣٨ ، ٥٦ / ١٩٥٧ م ، ص ٢٧ ؛ الباحث ، الآثار و الأملاك المعمارية لعبد الباقى جوربجى بمدينة الإسكندرية ، القاهرة ١٩٩٣ م ، ص ٥٦

(٢) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٢١٧ – ٢٢٠ . ولقد التزمنا فى وصفنا التسجيلى لهذه الأجزاء المعمارية من المسجد بإستعمال المصطلحات الواردة عنها بالوثيقة ، نظرا لتطابق هذا مع الواقع المعمارى الذى نراه الآن . (أنظر ش ١) .

يتوصل من البسطة المذكورة إلى الخرجة البحرية [١] الكشف السماوى المعدة للصلاة المركبة على بناء القهوة الكبرى » [٢] .

(ب) الإيوان الشمالي الغربي :

إذا ما أتجهنا يمينا من على البسطة – السابق ذكرها – نصل إلى هذا الأيوان ، الذى يشغل مساحة مستطيلة ، طول كل من ضلعيها الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى ١٢,١٠ م ، وطول ضلعيها الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى ٤,٤٠ م ، ومما نلاحظه أن بضلعها الشمالى الغربى أربعة أعمدة – منهم عمودان ضمن العناصر الحاملة للمئذنة – تحمل خمسة عقود مدببة ، فتحت فوق أولهم وأخرهم نافذة صغيرة . أما الجدار الجنوبى الغربى لهذا الإيوان فقد فتحت به نافذة كبيرة مستطيلة سعتها ١,٣٠ م وأرتفاعها ٢ م ، وهى تطل على شارع فرنسا بستارة من خشب الخرط ، وعلى محورها الرأسى فتحت نافذة صغيرة ثبت بها لوح من الزجاج الأبيض ، أما الجدار الجنوبى الشرقى فتوجد به فتحة الباب الرئيسى الموصل لداخل المسجد – وسنعرض لوصفه بعد قليل – وعلى جانبيه نافذتان كبيرتان مستطيلتان فتحة كل منهما ١,٤٥ × ٢ م ، تطلان على هذا الإيوان بستارة من خشب الخرط ، وعلى محور كل منهما نافذة صغيرة سعتها ٠,٩٠ م وأرتفاعها ١ م وهى متوجة بعقد نصف مستدير ، ومركب عليها هى الأخرى ستارة من خشب الخرط . وجدير بالذكر أن كلا من النافذة الكبيرة والصغيرة قد وضعتا داخل حنية متوجة بعقد مدبب مثلما هو الحال فى نوافذ الواجهة الجنوبية الغربية . وأما الناحية الشمالية الشرقية من هذا الإيوان فمفتوحة بكاملها ويوجد بمنتصفها عمود يقسمها إلى قسمين توج كل منهما بعقد مدبب يرتكز من جانب على هذا العمود ، وفى الجانب الآخر على جزء من الجدارين الجنوبى الشرقى والشمالى الغربى لهذا الإيوان ، ومما نلاحظه أن المعمارى قد فتح نافذة صغيرة على هيئة اللوزة بكوشتى العقدين بغرض تخفيف الأحمال عنهما ، وعلى محورها الرأسى فتح نافذتين صغيرتين مستطيلتين مقاس كل منهما ٠,٦٠×٠,٣٠م، وهذا ويمكننا من خلال فتحتى هذين العقدين الوصول إلى خارجة المسجد الشمالية الشرقية . (أنظر ش ١) .

---

(١) يقصد بهذا الأتجاه الشمالى الغربى ، حيث جرت عادة كتاب العصور الوسطى عند ذكر حدود أى مبنى إلى إتخاذ جهة القبلة لتحديد الجهة الجنوبية وعلى أساسها يتم تحديد بقية الأتجاهات ، ولكننا التزمنا فى دراستنا بالإتجاهات الأصلية .

(٢) الوثيقة ٢٧٥١ قديم / أوقاف ، سطر ٢١٦

(جـ) الخارجة الشمالية الشرقية :

وضح من الوصف السابق أننا نصل إلى هذه الخارجة من خلال فتحتين معقودتين تربطان بينهما وبين الإيوان السابق وصفه . وتشغل هذه الخارجة مساحة مستطيلة طولها ٢٣,٢٥ م ، وعرضها ٣,٩٥ م ، ومما نلاحظه أن أرتفاع هذه الخارجة ليس على نفس مستوى أرتفاع الواجهة الشمالية الشرقية للمسجد ، حيث يصل أرتفاعها إلى بداية النوافذ العلوية التى بتلك الواجهة . كما نلاحظ أيضا أن بالجدار الذى على يمين الداخل من إحدى فتحتى العقدين السابق ذكرهما – خمس فتحات ، أولاهما لنافذة كبيرة مستطيلة سعتها ١,٣٠ م ، وأرتفاعها ٢ م ، والفتحة الثانية لباب يتوصل منه إلى داخل المسجد وتبلغ سعتها ١,٦٠ م . أما الفتحات الثلاث الباقية فلنوافذ كبيرة مستطيلة سعة كل منهم ١,٣٠ م ، وأرتفاعها ٢ م ، وعلى وجه كل نافذة ركبت ستارة من خشب الخرط ، كما أن على المحور الرأسى لكل منهم فتحت نافذة صغيرة مستطيلة متوجة بعقد نصف مستدير ركب على حافتها المطلة على الخارجة ستارة من خشب الخرط . هذا عن الجدار الجنوبى الغربى من تلك الخارجة ، أما الناحية الشمالية الشرقية منها فيوجد بها سبعة أعمدة رخامية ذات طرز وأبدان مختلفة ، وعليها ترتكز ثمانية عقود مدببة (أنظر اللوحة ٣) ترى ثلاثة نجوم مفرغة موزعة بكوشات العقود رقم (٢ ، ٤ ، ٦) .

وأما الناحية الجنوبية الشرقية من هذه الخارجة فيتوسطها كتف يحمل عقدين (أنظر ش ١) . وأما الناحية الشمالية الغربية من تلك الخارجة فتوجد بها فتحة باب يتوصل منها إلى سلم هابط إلى دورة مياه المسجد . أما سقف تلك الخارجة الخارجية هى والإيوان الذى يتقدم المسجد فحديث منفذ على غرار القديم دونما زخرفة .

(د) باب الدخول الرئيسى للمسجد :

يقع هذا الباب بالضلع الشمالى الغربى للمسجد ، ويلاحظ أن واجهته بارزة عن سمت الواجهة بمقدار ٠,٣٠ م ، ويبلغ عرضها ٣,١٣ م . ويتوسط تلك الواجهة حنية الباب البالغ سعتها ٢,٥٠ م ، بصدرها فتحة باب سعتها ١,٤٥ م وعليها ركب باب خشبى أرتفاعه ٢,٥٠م ، وهو يتكون من مصراعين زين كل منهما بخمسة أشرطة من النحاس الأصفر ، إثنان بأعلاه ومثلهما بأسفله ، والشريط الخامس مثبت بوسط كل مصراع . وعلى جانبى هذا الباب مكسلتان مقاس كل منهما ٠,٤٠ × ٠,٥٠ × ٠,٧٥ م . كما أن له عتبا علويا من

الخشب ثبت على جانبيه عمودين صغيرين من الرخام يرتكز عليهما عقد صغير مدبب مصمت ثبت بصدره لوح رخامى يتضمن النص التأسيسى التالى :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم عمل عيسى ٢ – أنما يعمر مساجد الله من آمن بالله .

٣ – هذا المسجد انشاء الحاج إبراهيم تربانة ٤ – ١٠٩٧

أما حنية الباب فمتوجة بعقد ثلاثى الفصوص يرتكز على عمودين صغيرين مدمجين بجدارى تلك الحنية التى كسيت ببلاطات خزفية ذات زخارف هندسية أو نباتية منفذة باللون الأزرق والأخضر والأصفر .

تخطيط المسجد :

ندخل من الباب السابق وصفه إلى داخل المسجد الذى يشغل مساحة مستطيلة طولها ١٨,٨٥ م ، وعرضها ١٢,٧٥ م ، أما أرتفاع السقف فيصل إلى ٧,٤٥ م ،وقد قسمت هذه المساحة إلى خمس بائكات ، بكل بائكة ثلاثة عقود مدببة تسير موازية لجدار القبلة ، وهى مرتكزة على عمودين وكتفين ، أحدهما بالجدار الجنوبى الغربى والآخر بالجدار الشمالى الشرقى . ومما نلاحظه أن العقد الأوسط بكل بائكة أكبر من الجانبين ، إذ تبلغ سعة فتحته ٣,٩٥ م ، فى حين أن سعة كل من العقدين الجانبين ٣,٤٠ م . (أنظر اللوحة٤) . كما نلاحظ أن بجدار المسجد الجنوبى الغربى خمس نوافذ كبيرة على محورها الرأسى خمس نوافذ قنديلية – سبق وصفها عند وصف الواجهة الجنوبية الغربية – تفصل بينها أربعة أكتاف بارزة عن سمت الجدار بمقدار ٠,٦٥ م ، تقابلها مثلها بالجدار الشمالى الشرقى للمسجد ، وإن كان بروزها عن سمت الجدار بمقدار ٠,٧٢ م (أنظر ش ١) . أخيراً نلاحظ أن على يمين ويسار الداخل من باب المسجد الرئيسى نافذتان – سبق وصفهما – ، كما يوجد على يسار الداخل سلم خشبى يصعد منه إلى دكة خشبية تشغل أعلى البائكة الأولى من المسجد . أما سقف المسجد فعبارة عن عروق خشبية ممتدة فيما بين البائكات مرتكزة على عقودها . وقد تم تلويح السقف بألواح خشبية طليت هى والعروق باللاكية ، وزخرفت بالرسوم النباتية (أنظر اللوحة ٥) . وفوق تلك العروق والألواح وضعت طبقة من الردم غطيت بالبلاط الذى يمثل سطح المسجد .

الدكة الخشبية :

ذكرنا أن هذه الدكة تشغل أغلى مساحة البائكة الأولى التى تلقى الداخل من باب المسجد الرئيسى ؛ حيث يجد « سلما على يساره يصعد منه إلى تلك الدكة الخشبية التى نصت وثيقة وقف المنشىء على أنه يوجد « بالجانب البحرى / جميع دكة من الخشب النقى علوية بعرض المسجد المذكور معدة لإقامة الصلوات مدهونة بأنواع الدهانات . ويتوصل منها إلى دكة لطيفة خشب نقى بها سلم خشب يصعد من عليه إلى سطح الجامع المرقوم أعلاه » [١] . وهذا النص على جانب كبير من الأهمية لأنه وصف لنا دكتين خشبيتين ؛ إحداهما كبرى نص على أنها للصلاة ، والأخرى صغرى فقدت ونرجح أنها كانت للمؤذن . [٢] كما أنه يؤكد حرص المعمارى على أستغلال كل جزء لتوفير مساحة جديدة تخدم المصلين . بدليل استغلاله لمساحة كل من الخارجتين والإيوان لذات الغرض ، وهو ما نصت عليه الوثيقة [٣] .

المحراب :

يقع بمنتصف جدار القبلة ، وقد حددت حنيته البالغ سعتها ٢ م بعمودين مثمنين لكل منهما قاعدة وتاج على هيئة الناقوس وعليهما يرتكز عقد مدبب ، ومما نلاحظه أن جدارى تلك الحنية يرتدان إلى الداخل بمقدار ٠,٤٠ م ، وبذلك تصبح سعة الحنية المجوفة ١,٢٠ م ، ويمثل تجويفها أكثر من نصف دائرة ، لها طاقية ذات عقد مدبب مزخرف بزخارف إشعاعية ، أما صدرها فقد كسى هو وكوشتا عقد الحنية ببلاطات خزفية تزينها زخارف نباتية أو هندسية منفذة بالألوان الخضراء والصفراء والزرقاء (أنظر اللوحة ٦) .

المنبر :

يقع على يمين المحراب ، وهو منبر حديث ، لذا فليس أمامنا إلا أن ننعم النظر فى الوصف الوثائقى لنقف على جمال المنبر القديم الذى كان « من الخشب الجوز النقى

---

(١) الوثيقة ٢٧٥١ قديم / أوقاف ، سطر ٢٢٥ – ٢٢٧ .

(٢) أنظر ص ٢٩٩ – ٣٠٠ من هذا البحث .

(٣) أنظر ص٢٨٥ – ٢٨٧ من هذا البحث .

الباحث ، الآثار والأملاك المعمارية لعبد الباقى جوربجى ، ص ٢٧ ، ٤١ – ٤٣

مشتمل على باب يغلق عليه زوجا باب يدخل منه إلى سلم يصعد من عليه إلى مكسلة معدة لجلوس الخطيب [١] تعلوها قبة ، مدهون المنبر المذكور بأنواع الدهانات » [٢] .

خلوة الخطيب :

يوجد بالطرف الغربى من جدار القبلة فتحة باب مقدارها ٠,٩٥ م يتوصل منها إلى خلوه مستطيلة طولها ٤ م ، وعرضها ٢,٢٥م . وقد نصت الوثيقة على أن هذه « الخلوة معدة لجلوس الخطيب يوم الجمعة قبل / الخطبة على العادة كاملة المنافع والأبواب موضوع بها جميع ربعتان شريفتان كاملتان مجلدتان محبوكتان وقف مولانا الواقف المشار إليه أعلاه / برسم القراءة فى كل يوم جمعة » [٣] .

ويفيدنا هذا النص فى معرفة الغرض الوظيفى الذى من أجله أنشئت تلك الخلوة ، كما أنه من ناحية أخرى يدل على وجود نسختين كاملتين من المصحف الشريف ، وأنهما كانتا مجلدتين ، وقد وقفهما المنشىء على هذا المسجد ليقرأ فيهما المصلون يوم الجمعة . ومن أسف أن هاتين الربعتين لم تصلا إلينا ، وعلى أية حال فإن لهذه الخلوة ثلاث نوافذ ، إحداها بجدارها الجنوبى الغربى مقاسها ٠,٥٠ × ٠,٩٠ م ، والأخرتان بجدارها الجنوبى الشرقى مقاس كل منهما ٠,٥٠ × ٠,٩٠ م أيضا (أنظر ش ١) .

خلوة أخرى :

يوجد بالطرف الشرقى فى جدار القبلة فتحة باب سعتها ١ م يدخل منها إلى خلوة مستطيلة طولها ٤,٧٥ م وعرضها ٢,٢٥ م ، وبجدارها الجنوبى الشرقى نافذتان صغيرتان

---

(١) المكسلة : مصطلح معمارى جرت العادة فى استعماله لوصف المصطبتين الصغيرتين الواقعتين على جانبى أبواب المنشآت الخارجية ، وقيل أن الغرض منهما هو أن يستريح عليهما صاحب المنشأة أو الرواد . ونلاحظ أن النص الوثائقى هنا يقدم تفسيراً جديداً للمصطلح من حيث الموضع الذى استعمل فيه وإن كان يتفق مع التفسير السابق من حيث الغرض ، حيث يستريح الخطيب عقب صعوده للمنبر لبرهة يقوم بعدها لألقاء الخطبة ، ثم يستريح قليلا فيما بين الخطبة الأولى والثانية . ومن هنا لم يجد كتاب الوثائق حرجا من أطلاق المصطلح سواء على المصطبتين اللتين على جانبى الأبواب الخارجية للمنشآت أو على جلسة الخطيب .

(٢) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٢٢٢ – ٢٢٣

(٣) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٢٢٣ – ٢٢٥

سعة كل منهما ٥٠ , م × ٩٠ , م وقد حدد النص الوثائقى الغرض الوظيفى لهذه الخلوة بأنها « معدة إلى تعلقات الجامع المذكور من فرش وغير ذلك مما يحتاج إلى الحال » [١] ، (أنظر شكل ١) .

بقى أن نشير إلى أن جدار القبلة هذا قد تمت كسوته ببلاطات ذات رسوم نباتية عبارة عن ورود ذات ثمان بتلات (أنظر اللوحة ٧) . وقد نصت الوثيقة على ذلك بقولها : « أن الحائط القبلية ملوحة بالرخام والزليزلى وباقى حوائط الجامع المرقوم أعلاه بالزليزلى » [٢] .

وسائل الإضاءة الصناعية بالمسجد :

كان المسجد يضاء ليلاً - فيما سبق - عن طريق مشكاوات زجاجية معلقة سلاسلها فى مفتاح عقود البائكات الخمس يدل على ذلك تلك الحلقات الحديدية المثبتة فى مفاتيح تلك العقود ويؤكد ذلك أيضا أن كتاب وقف الحاج إبراهيم تربانة يتضمن أشتراطه صرف ٢٠٠ نصف فضة سنويا لشراء زجاج وقناديل [٣] . كما أنه أشترط أيضا صرف $٢\frac{١}{٢}$ رطل من زيت طيب كوقود للجامع ، بالإضافة إلى صرف قنطار من نفس الزيت بغرض إطالة زمن الإضاءة فى ليالى شهر رمضان وكذلك فى ليالى النصف من شعبان والموالد والمواسم . [٤] ويضاف إلى ذلك أيضاً أنه كان يوجد شمعدانان من النحاس الأصفر كانا موضوعين على جانبى حنية المحراب ، وقد أشترط الحاج إبراهيم تربانة أن توضع بكل منهما شمعة عسل لزيادة الإضاءة بالمسجد أثناء صلاة التراويح خلال شهر رمضان [٥] .

الوصف الوثائقي للمسجد :

ورد فى وثيقة وقف الحاج إبراهيم تربانة وصفا لمسجده نثبته هنا نظراً لأهميته لدارسى الآثار والعاملين فى حقلها ، حيث إنه المصدر الحقيقى لأية عمليات ترميم يمكن

---

(١) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٢٢٥

(٢) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٢٢١

(٣) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٣٧٤

(٤) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٣٧٤ - ٣٧٥

(٥) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٣٧٦ - ٣٧٧

إجراؤها به ، ثم إنه يوضح لنا أجزاء هذا المسجد المعمارية وأيها ظل على حاله ، وأيها قد تغير أو اندثر ، والحق أننا لن ننشر كتاب الوقف هذا نظراً لضخامته على هذا البحث [١] ، ونكتفى بنشر نصوصه الخاصة بالمسجد .

أولاً : الوصف الوثائقى للمستوى السفلى :

« وجميع الحوانيت سفل الجامع الجديد المعروف بإنشاء الواقف المشار إليه أعلاه وقدرها إثنى عشر حانوتا ، ما هو قبليا ستة / حوانيت . وبالجهة الغربية ستة حوانيت باقى ذلك [٢] . وجميع الحاصل الذى صار الآن قهوة صغرى سفل الجامع المذكر . وجميع الحانوت سفل الجامع / من الجهة البحرية ، وجميع القهوة الكبرى المعدة لطبخ القهوة وحانوتها الكاينة بالجزيرة المذكورة داخل الشارع الغربى وما اشتملت عليه من الأبواب والأعتاب والدواليب والخزاين والسقف والمنافع والتوابع واللواحق والمرافق » [٣] . ومما نلاحظه أن بهذا الوصف ذكر لقهوتين ، إحداهما صغرى كانت فى الأصل حانوتا حول – إلى القهوة وإلى جوارها القهوة الكبرى ، وأن موقعهما كانا بالناحية الجنوبية الغربية من المسجد . ولم نعرض لوصفهما لاندراسهما وكان المستوى الثانى لهما عبارة عن الخارجة الشمالية الغربية للمسجد وقد اندرست هى الأخرى .

ثانيا : الوصف الوثائقى للمستوى العلوى :

« وجميع بنا الجامع / الشريف المعظم والحرم المنيف الأعظم الكاين بالجزيرة المذكورة قريبا من جمرك ديوان الثغر المرقوم بالمينة الشرقية القايم بناية على الصهريج [٤] والحوانيت / المذكورة ، ويتوصل من الجامع المرقوم من عقدى سلم أحدهما غربيا والثانى شرقيا ، وبأسفله حانوت سكن ، وبوسطى عقد السلم المرقوم بسطة بها أربعة أعمدة / من الحجر الصوان مركب عليهم المنار الشريف . ويتوصل من البسطة المذكورة إلى الخرجة البحرية الكشف السماوى المعدة للصلاة المركبة على بنا القهوة الكبرى / المذكورة [٥] . وخرجتها القبلية الفاصلة بين عقدى السلم المرقوم أعلاه . ويتوصل من البسطة المذكورة

---

(١) سنقوم بنشر هذه الوثيقة فى بحث مستقل بإذن الله .

(٢) يتفق هذا العدد مع ما نراه حاليا بالمسجد . انظر وصف ذلك فى ص ٢٨٠ – ٢٨٣ من هذا البحث .

(٣) الوثيقة ٢٧٥١ / أوقاف ، سطر ٢٠٦ – ٢٠٩

(٤) يطلق مصطلح « الصهريج على السبيل » .

(٥) انظر ص ٢٨٥ – ٢٨٦ من هذا البحث .

إلى إيوان الجامع المرقوم أعلاه تجاه الباب البحرى / الآتى ذكره فيه المركب الإيوان المرقوم على بنا الحاصل الصغير الذى صار الآن القهوة المذكورة ، المشتمل بنا الجامع المذكور أعلاه على بابين أحدهما بحريا / بالإيوان المرقوم أعلاه وهو مقوسر بواجهته أربعة عمدان من المرمر الأبيض صغار مطلى بعضها بالذهب المحلول مدهون بأنواع الدهانات الملونة المختلفة / والباب الثانى فتح شرقيا يتوصل منه إلى خرجة الجامع المطلة على البحر الأجاج الأعظم المعدة للصلوات المركبة على مجاز علو المراحيض المشتملة الخرجة / بالبنا الزليزلى ، وقبلتها مركب بها محراب من الرخام ، والحائط القبلية ملوحة بالرخام والزليزلى وباقى حوايط الجامع المرقوم أعلاه بالزليزلى / موضوع بجوار قبلة الجامع المرقوم منبر من الخشب الجوز النقى مشتمل على باب يغلق عليه زوجا باب يدخل منه إلى سلم يصعد من عليه مكسلة معدة لجلوس / الخطيب تعلوها قبة ، مدهون المنبر المذكور بأنواع الدهانات ، وبالقبلة المذكورة من الجهة الغربية جميع خلوة معدة لجلوس الخطيب يوم الجمعة قبل / الخطبة على العادة كاملة المنافع والأبواب موضوع بها جميع ربعتان شريفتان كاملتان مجلدتان محبوكتان وقف مولانا الواقف المشار إليه / أعلاه / برسم القراءة فى كل يوم جمعة وجميع خلوة ثانية معدة إلى تعلقات الجامع المذكور من فرش وغير ذلك مما يحتاج الحال إليه . وبالجانب البحرى جميع / دكة من الخشب النقى علوية بعرض المسجد المذكور معدة لإقامة الصلوات مدهونة بأنواع الدهانات ويتوصل منها إلى دكة لطيفة خشب نقى بها سلم خشب / يصعد من عليه إلى سطح الجامع المرقوم أعلاه بالدكة المذكورة شبابيك وبالجامع المذكور شبابيك علوية وسفلية مكمل الشروط والمنافع علوا وسفلا /داخلا وخارجا . ويحيط بالجامع المذكور ويحصره حدود أربعة بالدلالة الآتى ذكرها فيه ، الحد القبلى ينتهى إلى الشارع المسلوك الفاصل بين ذلك / وبين قهوة الأمير محمد جاويش مستحفظان ، وبالحد المرقوم حوانيت الجامع الحاملة لبنائه الموصوفة أعلاه . والحد البحرى ينتهى إلى الشارع الفاصل بين / ذلك وبين وقف المغفور له الأمير عمر أغا رحمه الله . والحد الشرقى ينتهى إلى بحر الملح الأجاج الأعظم . والحد الغربى ينتهى إلى الشارع المسلوك فاصل / بين ذلك وكالتى الواقف المشار إلى أعلاه ، وبالحد المرقوم باقى الحوانيت والصهريج الذى به الشباك النحاسى الأصفر » (١) .

---

(١) أنظر الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٢١٣ - ٢٣١ ، ونلاحظ أن آخر النص فسر لنا أن المقصود بالصهريج هو السبيل بدليل قوله : « والصهريج الذى به الشباك النحاس الأصفر » . أنظر الحاشية ٥ ص ٢٩١ من هذا البحث .

ثالثا : الدراسة التحليلية :

يمكننا الآن بعد وصفنا لمسجد الحاج إبراهيم تربانة ونشرنا لوصفه الوثائقى أن نعرض بالدراسة والتحليل للنقاط التالية :

أولاً : موقع المسجد وعلاقتة بالتخطيط المعلق وأثره على المساجد المجاورة .

ثانيا : مئذنة المسجد وأثرها على مئذنة مسجد الحاج عبد الباقى جوريجى ١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م .

ثالثا : العمائر التى وقفها الحاج إبراهيم تربانة المغربى على مسجده وبيان ببعض الوظائف الخاصة به ومرتباتها .

رابعاً : بيان بقطع أثاث المسجد المندثرة .

خامساً : التغييرات المعمارية التى طرأت على بعض أجزاء المسجد .

أولاً : موقع المسجد وعلاقته بالتخطيط :

تكشف النظرة الفاحصة لموقع المسجد أنه شيد بمنطقة تجارية ، ويؤكد ذلك أيضا أن الوثيقة نصت على أنه « بالجزيرة المذكورة قريبا من جمرك ديوان الثغر المرقوم بالمينة الشرقية » [١] . ومما لا شك فيه أن قرب هذا الموقع من شاطىء البحر المتوسط ومن ميناء الثغر السكندرى الشرقى ، قد أثر بشكل مباشر على نوعية النشاط السكانى به ، حيث أتجهوا إلى العمل التجارى ، كما أنه أثر على نوعية العمائر بتلك المنطقة ، فكثرت فيها العمائر التى تخدم الأغراض التجارية ، سواء كانت وكائل أو حوانيت أم أسواقا [٢] ، ولذلك وجدنا أن من يرغب فى بناء مسجد بتلك المنطقة كان حريصا ، فى ذات الوقت على بناء عدد من الحوانيت والوكائل والطواحين ، ووقفها عليه لتحقق له دخلا طيبا ثابتا . ومما لا

---

(١) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٢١٤

(٢) أنظر بيان بالعمائر التى وقفها المنشىء ص ٢٢- ٢٣ من البحث ، الباحث ، الأثار والأملاك المعمارية لعبد الباقى جوربجى ، ص ٩٤-٩٧ ، ويؤكد ذلك أننا ومن خلال الوثائق ٢٧٥١ ، ٢٣٨٣ ، ٢٣٨٤ قديم / أوقاف نعلم أن بهذه المنطقة عدة وكائل بعضها مندثر ، وبعضها باق ، أما التى أندثرت فهى الوكائل الثلاث التى شيدها المنشىء ، ووكالة مصطفى باشا الغزى ووكالة الوزير سنان باشا ، وأما التى وصلتنا فوكالة الشيخ حمزه ووكالة عبد الباقى جوربجى ، وأهم من ذلك أن الميناء كانت بهذه المنطقة ، كما كان بها ولم يزل سوق المدينة . أنظر : الباحث ، المرجع السابق ، ص ٤٤ ، حاشية ٦ .

شك فيه أيضا أن المعماريين الذين وضعوا تصميمات تلك المساجد والمنشآت التجارية قد وضعوا هذه المطالب فى حسبانهم ، وراعوها فى مخططاتهم ، لذلك وجدناهم يختارون التخطيط المعلق كأنسب تخطيط لتحقيق جميع هذه الأغراض ، حيث يبنى فى المستوى السفلى مجموعة من الحوانيت أو جزء من وكالة ، ويشيد فوقهما المسجد بالمستوى العلوى . والحق أن هذا التخطيط المعمارى الذى ارتضاه مهندس مسجد تربانة ١٠٩٧ هـ / ١٦٨٥ م كان له أكبر أثر على تخطيط العديد من المساجد المجاورة له مثل مسجد الحاج عبد الباقى جوربجى ١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م ، ومسجد مسير ومسجد سوق الفضة [١] .

ثانياً : تأثير مئذنة مسجد تربانة على مئذنة مسجد عبد الباقى جوربجى :

قاومت مئذنة مسجد تربانة عوادى الزمن ، ووصلتنا بكامل أجزائها ، وهى كما وصفناها عبارة عن طابق واحد يرتكز على عناصر حاملة تبدأ من الأرض وترتفع بارتفاع المسجد بمستوييه أى ١٠,٨٠ م ، ويبدأ بدن المئذنة المثمن من سطح المسجد ، وفى نهايته توجد شرفة المؤذن ، نلحظ بعدها قمة المئذنة والتى يمثلها عمود ذوبدن مستدير مزين بقنوات رأسية وبأعلاه شكل معمارى يشبه القلة التى تعلو المنابر ثبت به هلال من النحاس [٢] . وقد أثرت هذه المئذنة تأثيرا مباشرا على مئذنة مسجد الحاج عبد الباقى جوربجى الواقع بذات المنطقة والذى شيد فى ربيع الآخر ١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م ، أى بعد ٧٤ سنة من بناء مسجد تربانة وعلى الرغم من إندثار مئذنة مسجد عبد الباقى إلا أن وصفها الوثائقى يتفق تماما مع أوصاف وأجزاء مئذنة مسجد تربانه ودليلنا على ذلك وصفها الوارد بوثيقة وقف الحاج عبد الباقى جوربجى ، الذى ينص على أنها تشتمل « على باب / يصعد منه لأعلاها بها مدار واحد دائر به درابزين من الخشب المخروط النقى [٣] ، مركبة تلك المنارة المذكورة على العمد الأربعة الكائنة بالبسطة المذكورة تجاه رحبة الجامع » [٤]

---

(١) الباحث ، المرجع السابق ، ص ٣٨ – ٣٩ ، حيث تمت مناقشة هذا الأمر بإفاضة عند الحديث عن موقع مسجد عبد الباقى جوربجى .

(٢) أنظر الوصف الكامل لتلك المئذنة ص ٢٨٤ من هذا البحث ، اللوحة رقم ٢

(٣) يقصد بذلك شرفة المؤذن .

(٤) الوثيقة ٢٣٨٣ ق / أوقاف ، سطر ٦٤ – ٦٧ ، الباحث ، المرجع السابق ، ص ١٨ ، ١٩ ، ٥٧

ثالثا : العمائر التى وقفها الحاج إبراهيم تربانة على مسجده :

وقف الحاج إبراهيم تربانة عدة عمائر على نفسه وعلى مسجده ، وهى كما سنرى فى غالبها منشآت تجارية ، والهدف من ذلك كما ذكرنا من قبل أن لها عائدا مجزيا ، ثم أنها تعكس أثر الموقع على نوعية المنشآت التى تشيد به ، ومن ثم كان لموقع المسجد ، ومواقع تلك العمائر ، بالإضافة لرغبة المنشىء الأثر المباشر فى تحديد نوعية المنشآت . وعلى كل فقد تضمن كتاب وقف الحاج إبراهيم تربانة العمائر التالية :

١ – دار كبيرة وطاحون بجوار جامع أحمد كوهية قرب الجامع الطولونى .

٢ – وكالة بالجزيرة الخضراء بظاهر ثغر الإسكندرية .

٣ – وكالة أخرى ملاصقة للوكالة السابقة .

٤ – حاصل بظاهر الوكالة السابقة من الجهة القبلية .

٥ – حاصلان ملاصقان للوكالة السابقة .

٦ – سبع عشرة حانوتا ملاصقة للوكالة السابقة .

٧ – أحد عشر حانوتا بسوق السمك بجوار الوكالة السابقة .

٨ – وكالة بخط سوق السمك قرب مسجد تربانة .

٩ – بيت الواقف قرب جامع قابودان بالجزيرة الخضراء .

١٠ – دار قرب بيت الواقف من الجهة القبلية .

١١ – مقعد سكن الواقف .

١٢ – حوش تجاه بيت الواقف .

١٣ – دار قرب بيت الواقف ومقعده .

١٤ – دار تعرف بالصهريج قرب الدار السابقة .

١٥ – دار ثالثة بخط أماكن إبراهيم تربانة .

١٦ – دار بالجزيرة الخضراء بخط حارة اليهود .

١٧ – دار أخرى بخط حارة اليهود .

١٨ – أربعة دور بحارة اليهود .

١٩ – دار صغيرة بالحارة السابقة .

٢٠ – حاصل ملاصق الدار السابقة .

٢١ – طاحون بالجزيرة الخضراء قرب سوق الحطب .

٢٢ – تسع حوانيت ملاصقة للطاحون السابق .

٢٣ – حانوت بسوق القصابين .

٢٤ – حانوتان بسوق القصابين .

٢٥ – ثلاثة حوانيت بسوق الخضرية .

٢٦ – ثلاثة حوانيت بالجزيرة الخضراء بخط الطيارة .

٢٧ – ثلاثة حواصل بالجزيرة الخضراء .

٢٨ – ستة حواصل بالميناء الشرقية .

٢٩ – أثنا عشر حانوتا سفل مسجد تربانة .

٣٠ – قهوة صغرى سفل مسجد تربانة .

٣١ – حانوت سفل مسجد تربانة من الجهة البحرية .

٣٢ – قهوة كبرى سفل مسجد تربانة ٣٣ – خمس حوانيت تجاه القهوة السابقة بالجهة البحرية .

ومما لا شك فيه أنه كان لهذه العمائر إيراد كبير ، أستغله الحاج إبراهيم فى الصرف منه على نفسه وأسرته وعلى مسجده وعلى الموظفين الذين يرعون ويشرفون على الوقف أو يؤدون أعمالا محددة لهم . كما أنها تبين لنا عظيم ثرائه ، بدليل أن المكان الذى كان يقطن فيه سمى باسم « خط أماكن إبراهيم تربانة » وتبين لنا أيضا أن هذه المنطقة كانت كما ذكرنا من قبل بؤرة النشاط التجارى فى تلك المدينة .

بيان الوظائف الخاصة بالمسجد ومرتب كل منها :

مسلسل	الوظيفـــة	المرتب السنوى
١	ناظر الوقف	١٠٨٠ نصف فضة
٢	خطيب المسجد	٧٢٠ » »
٣	إمام المسجد	٩٠٠ نصف فضة
٤	المرقى	٩٠ » »
٥	مؤذنوا الجمعة	١٨٠ » »
٦	مؤذن الصلوات مع الفراشة والوقادة والبوابة .	١٤٤٠ » »
٧	المزملاتى	١٨٠ » »
٨	سواق الساقية .	١٤٤٠ » »
٩	مدرس لقراءة الحديث بعد العصر .	١٨٠ » »
١٠	خمس أفراد لقراءة القرآن .	٥٤٠ » »
١١	شاد الوقف	٧٢٠ » »

وبذلك يكون إجمالى المرتبات ٧٤٧٠ نصف فضة .

بيان بمصروفات أخرى حددتها الوثيقة

مسلسل	المبلغ السنوى	الغرض الذى من أجله رصد المبلغ
١	١٥٠٠ نصف فضة	ثمن ماء عذب يصب فى الصهريج
٢	٢٠٠ » »	ثمن زجاج وقناديل .
٣	٦٠٠ » »	ثمن حصير لفرش المسجد .
٤	٢١٦٠ » »	ثمن علف حمار الساقية .
٥	٣٠٢٠ » »	ثمن أحكار الأوقاف الأصلية .

إجمالى هذه المصروفات = ٧٤٨٠ نصف فضة .

وبذلك يكون إجمالى مصروفات وقف الحاج إبراهيم تربانة المغربى ١٤٩٥٠ نصف فضة ، بالإضافة إلى بعض المصروفات الأخرى التى ذكرتها وثيقة الوقف ولم تحدد كم يكون مصروفها وهى :

١ - ثمن الزيت المستعمل فى إضاءة المسجد .

٢ - ثمن الشمع الذى يوضع بالشمعدانين اللذين على جانبى المحراب .

٣ - ثمن قلل فخارية توضع بالمسجد .

٤ - ثمن ثمانية أبسطة تفرش بالمسجد وكذا برقع لباب المنبر .

رابعاً : بيان بقطع أثاث المسجد المندثرة :

أفادنا النص الوثائقى فى الوقوف على بعض قطع الأثاث التى فقدت وهى :

أ - دكة المؤذن : نصت الوثيقة على أن الدكة الخشبية العلوية التى كانت بعرض المسجد « يتوصل منها إلى دكة لطيفة خشب نقى بها سلم خشب يصعد من عليه إلى سطح الجامع » [١] . ويؤكد هذا النص وجود دكتين خشبيتين ، إحداهما كبرى تشغل أعلى البائكة الأولى من المسجد وهى معدة للصلاة ، والدكة الأخرى وهى الصغرى وقد فقدت ومن خلال الوصف الوثائقى والتحليل المعمارى لوضع الدكتين يمكننا القول أن الدكة الصغرى كانت للمؤذن يؤيدنا فى ذلك أن النص الوثائقى يشير إلى وجود سلم بتلك الدكة يصعد منه إلى سطح المسجد ، وبالفعل لا يزال هذا السلم موجودا بالناحية الشمالية الشرقية من الدكة الكبرى ومنه نصل إلى باب يقع فى مستوى النوافذ العلوية بالمسجد نصل من خلاله إلى سطح المسجد ، حيث تقع المئذنة بالقرب منه . ولا يخفى علينا ما لذلك من أهمية ، حيث إن المؤذن فى تحركه من الدكة إلى المئذنة لا يتخطى رقاب المصلين ، وبذلك نجح المعمارى فى التطبيق العملى للشرع الحنيف ، حيث أستغل الدكة الكبيرة فى زيادة المساحة المخصصة للصلاة ، والدكة الصغيرة رغم أن النص الوثائقى لم يحدد وظيفتها ، إلا أننا ومن خلال تحديد موقعها أمكننا القول بأنها كانت للمؤذن [٢] .

---

(١) الوثيقة ٢٧٥١ ق / أوقاف ، سطر ٢٢٦ - ٢٢٧

(٢) لاحظنا هذا الأمر أيضا فى مسجد الحاج عبد الباقى جوربجى . أنظر ، الباحث ، المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٣

٢ – المنبر أحـــد قطع أثاث المسجد التى أندثرت ومن حسن الحظ أن الوثـــيقة وصفته لنا [١]

٣ – الشمعدانان النحاسيان اللذان كانا موجودين على جانبى المحراب . وقدنصت الوثيقة على ضرورة وضع شمعتين من العسل بهما للإضاءة أثناء صلاة التراويح فى شهر رمضان المعظم [٢] .

٤ – لم تصل إلينا أى من المشكاوات التى كانت تضىء المسجد . وقد علمنا بعض المعلومات عنها من النص الوثائقى [٣] .

٥ – الربعتان الشريفتان اللتان وقفهما الحاج إبراهيم تربانة على مسجده ليقرأ فيهما المصلون يوم الجمعة [٤]

خامساً : التغيرات المعمارية ببعض أجزاء المسجد :

يتضح لنا من خلال مقارنتنا للوصف الوثائقى بالوصف الحالى للمسجد أندثار بعض أجزائه المعمارية وهى :

١ – إندثار دورة مياه المسجد الأصلية ، والبناءالحالى حديث .

٢ – إندثار الساقية التى كانت تمد المسجد بالمياه . ومن أسف أن النص الوثائقى لم يحدد موضعها .

٣ – إندثار بناء القهوة الكبرى التى كانت تشغل المستوى السفلى للرحبة [٥]

٤ – إندثار بناء الرحبة التى كانت مركبة على بناء القهوة الكبرى والتى كانت معدة للصلاة [٦]

وصفوة القول أن مسجد الحاج إبراهيم تربانة المغربى يمثل نموذجا فريدا فى تخطيطه ، أختاره مهندسه ليحقق التوافق بين طبيعة موقعه التجارية من ناحية ، وبين

---

(١) أنظر ص ٢٨٩ – ٢٩٠ من هـــذا البحث .

(٢) أنظر ص ٢٩١ – ٢٩٢ من هـــذا البحث .

(٣) أنظر ص ٢٩٠ – ٢٩١ من هـــذا البحث .

(٤) أنظر ص ٢٩٣ من هـــذا البحث .

(٥) أنظر ص ٢٩٢ من هـــذا البحث .

(٦) أنظر ص ٢٨٥ – ٢٨٦ من هـــذا البحث .

رغبة المنشىء والأغراض الوظيفية التى شيد من أجلها من ناحية ثانية . وقد أصاب المهندس فى تحقيق مسعاه ، وترك بصمته المعمارية التى ظهرت آثارها على تخطيط مساجد أخرى شيدت بذات المنطقة بعد ذلك ، وجميعها يفيدنا فى معرفة بعض أساليب بناء وتخطيط وزخرفة العمائر خلال العصر العثمانى بمدينة الإسكندرية فى القرنين (١١ - ١٢ هـ) (١٧ - ١٨ م) .

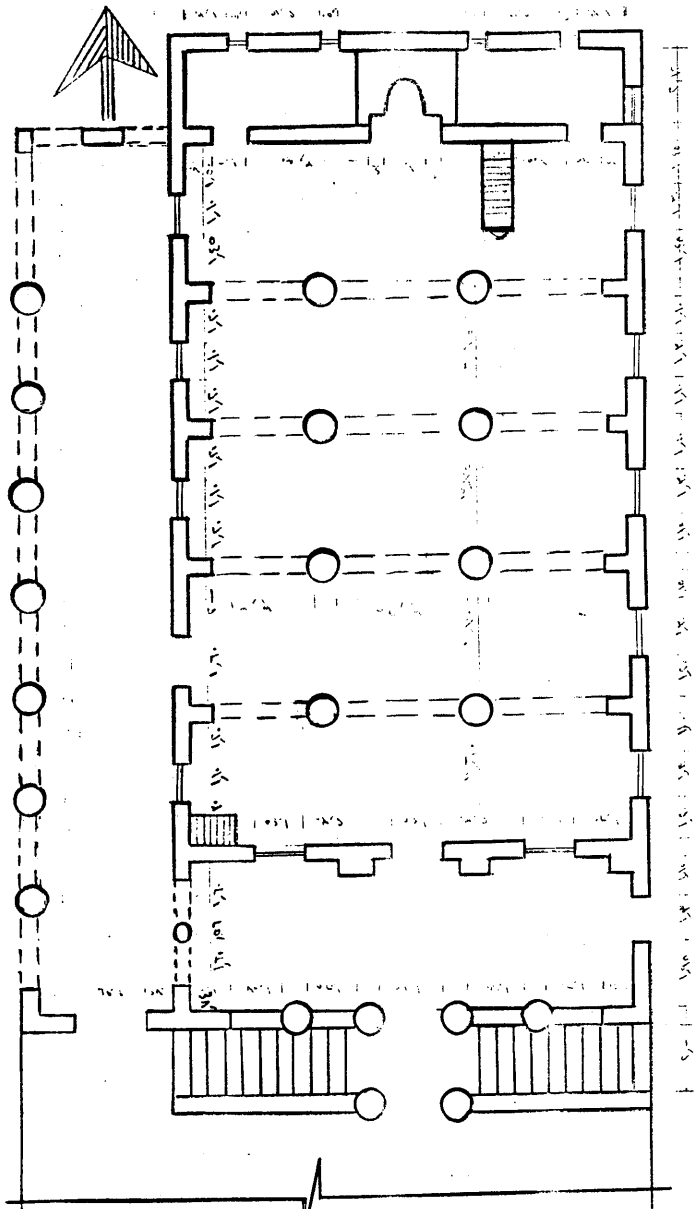

شكل رقم (١)
تخطيط المسـجـد

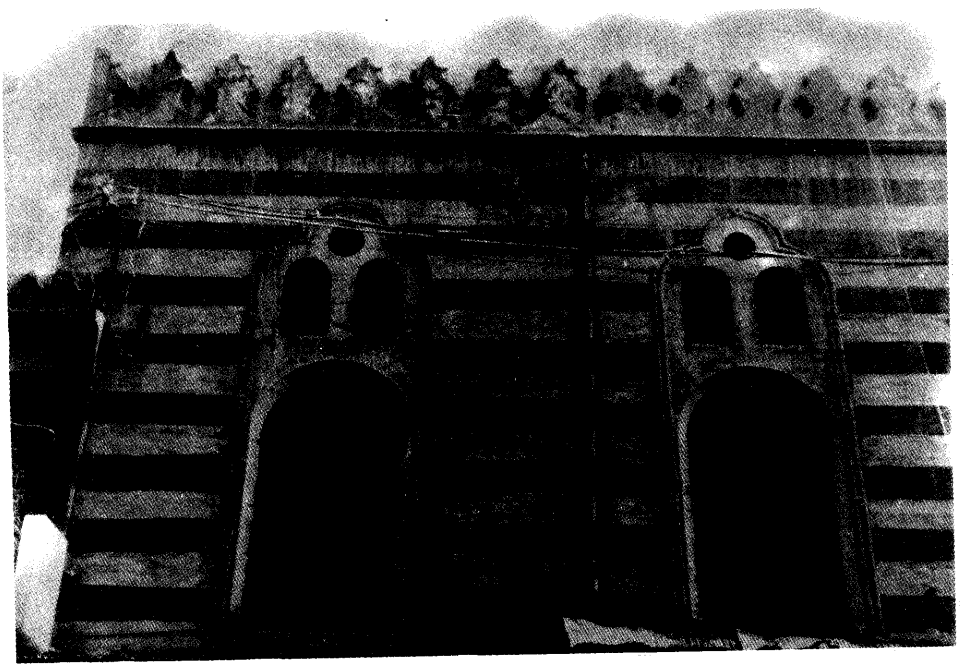

لوحة رقم (١)
جزء من الواجهة الجنوبية الغربية

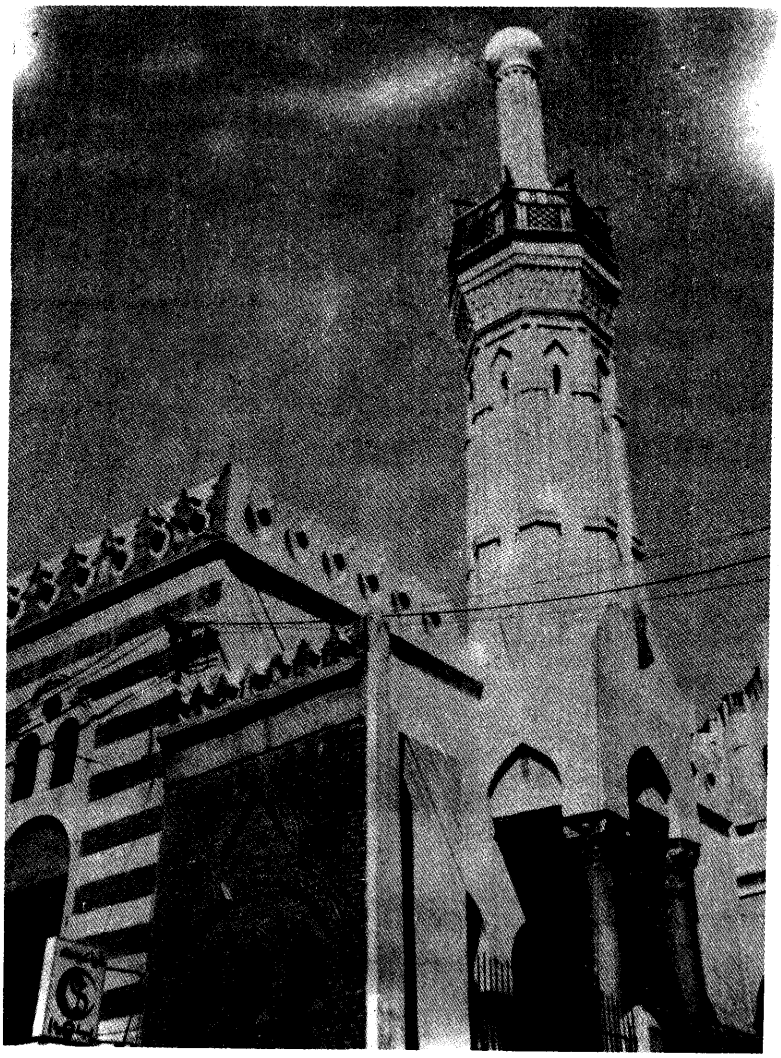

لوحة رقم (٢)
الباب الجنوبي الغربي للمسجد والمئذنة

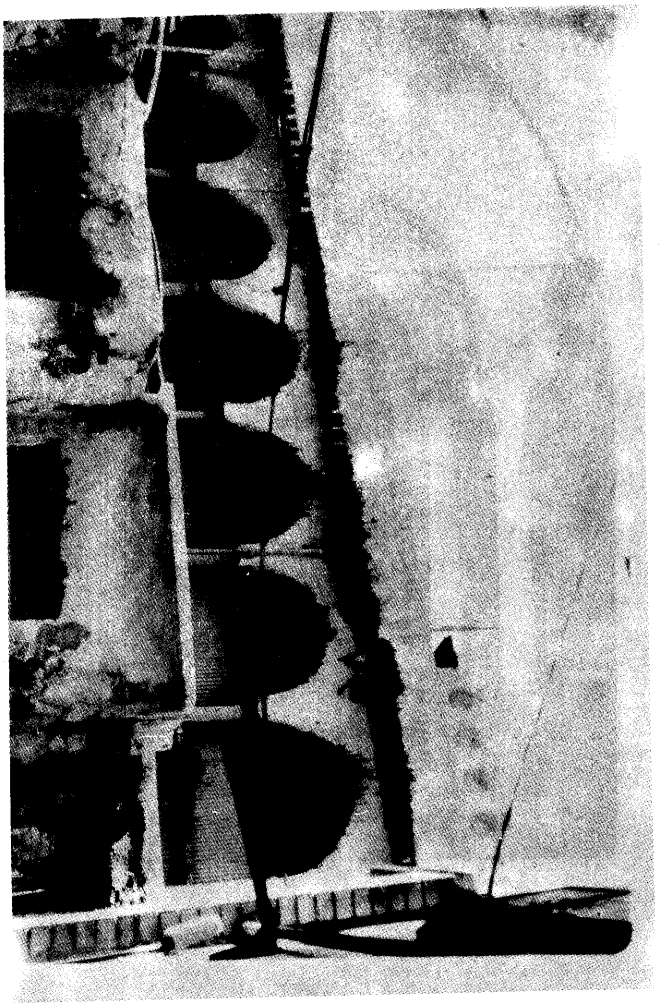

لوحة رقم (٣)
الواجهة الشمالية الشرقية للمسجد

لوحة رقم (٤)
منظر عام للمسجد من الداخل

لوحة رقم (٥)
سقف المسجد وزخارفه

لوحة رقم (٦)
محـــــراب المســـــجد

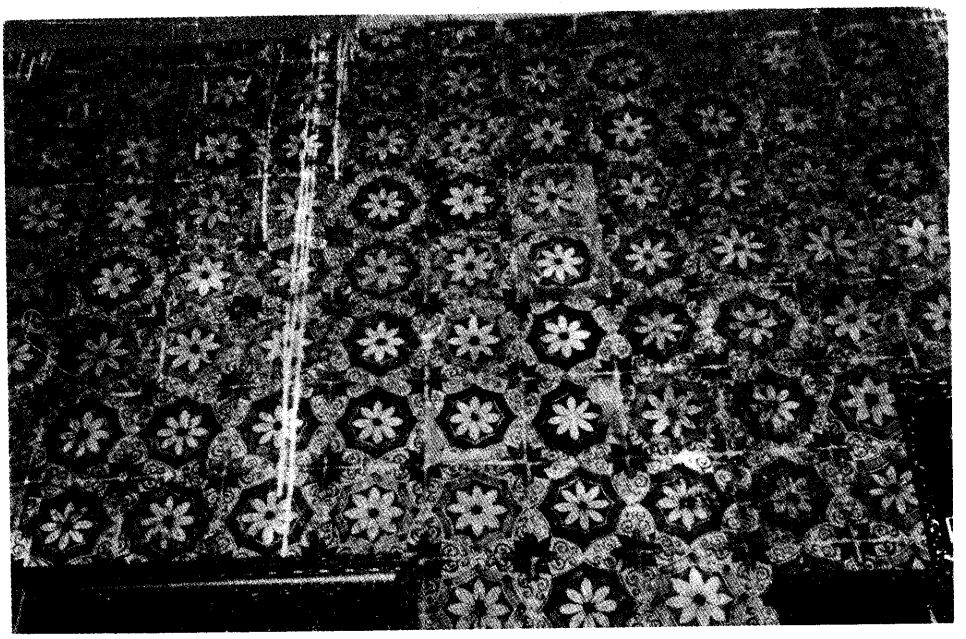

لوحة رقم (٧)
البلاطات الزخرفية بجدار القبة